المعجمات العربية

« تابع ما قبله »

طور الترهيب الحديث

ظهرت تلك المآخذ « التي ذكرناها في الجزء الماضي من الصحيفة » لكثير من أنصار اللغة ، وذوي الغيرة على الأدب العربي ، فهبُّوا إلى ترقية شئونها ، والأخذ بناصرها ، وفكّروا في اصلاح المعجمات القديمة أو وضع غيرها . ولم يقف الأمر عند التفكير ، بل وصل إلى الشروع ، وابراز الفكرة من مكمنها ، فقام أديب مصري فاضل « وأعنى به المرحوم النجاري بك » لترتيب « لسان العرب » ترتيباً يقال إنه على أسلوب المعجمات الإفرنجية الحديثة ، ولكنه عاجلته المنيّة دون إتمامه ، ونحن نأسف أبلغ الأسف لوقوف هذا المشروع حيث وقف به صاحبه ، وقلّة من اهتم فينا بالأمر من بعده !

ووضع بعض أفاضل السُّوريّين مُعجَماتٍ جديدة لخصوها من تلك المعجمات القديمة ، ومن أحسنها وضعاً وترتيبا « محيط المحيط » و« قُطر المحيط » للبستاني ، و « أقرب الموارد في فُصَح العربية والشوارد » للشرتوني ، و « المنجد » للويس معلوف اليسوعي

نفر المعجمات الحديثة

لكنّ شيئاً من ذلك لم يكن ليغيّر من الحالة القديمة التي ما زلنا نشكو منها أليم الشكوى :

فأما محيط المحيط وقطره فلا يمدحان الا لترتيبهما ، وفى غير ذلك يشتركان فيما اشتركت فيه المعجمات القديمة من العيوب والمآخذ ، على أنهما مزيج من الألفاظ العربيّة والدخيلة والمولّدة ، وهما حريّان أن يكونا مُعجمين لما يتكلم به أهل العربية من صحيح وغير صحيح ، لا أن يكونا معجمين عربيّين ، ذلك إلى قلة رُوائهما وعدم الاعتناء بطبعهما

وأما أقرب الموارد فهو احتذاء وتقليدٌ لمحيط المحيط إلا أنه أفضل منه تنسيقاً وتدقيقا ، وأجمل طبعا ووضعا ، وأكثر استيعابا للشوارد ، وتقييداً للأوابد المبعثرة فى دواوين الأدب وكتب اللغة . على أنه لايخلو من عيوب كان يجب أن يبرأ منها

أما أولا فإغفاله ذكر الأماكن والبقاع ، وأعلام القبائل والأشخاص ، مع شدة الحاجة إليها

وأما ثانيا فذكره للمولد والدخيل « تقليداً لمحيط المحيط وقطره » ومثل هذا المعجم كان يجب ألا يحوى غير الفصيح والصحيح كما فهمنا ذلك من عُنوانه

وأما ثالثا فتركه كثيراً من المفردات اللغوية مع محاولته استيعابها من المعجمات وكتب الأدب وما إليها

وأما رابعا فكثرة ما به من ذُيول تجرّ إلى ذيول ، وفهارس للتنبيه والتكملة ، والتصحيح ، والاستدراك ، وغير ذلك مما يندّ معه الصبر الجميل

وأما خامساً فخلوه من الصور الموضّحة لمشكلاته وغوامضه

ذلك إلى أشياء أخرى لم يخل منها معجم قديم أو حديث

وأما المنجد فهو نموذج حسن لمعجم مدرسيّ صغير ، وهو على صغره أوفى مادةً من المِصباح والمُختار ، ولا يخلو من بعض ما أخذ على أقرب الموارد وغيره ، كأغفاله الأماكن والأعلام الضرورية ، وذكره المولد والدخيل ، ولكنه يفضله بالصور والرسوم التى توضّح بعض المُبهماتِ فيه

بعض فى تأليف المعجمات

ومما يؤخذ على هـذه المعجمات الجديدة ، ذهاب أصحابها جميعا مذهباً واحدا ، فى حذف جانب كبير من اللغة من معجماتهم ، تَحَرُّجاً و تَأثُّماً ، ذلك هو القسم الخاص بالرَّفَثِ وألفاظ العَوْرات والسَّوْءات ، فلا تجد قليلا ولا كثيراً منها فى المعجمات الحديثة التى سبق الكلام عليها ، على حين أنك قد لا تجد (ترجمة) تخلو من هـذه المعانى أو ما يتعلق بها فى المعجمات القديمة . حذفوا ذلك القسم إبقاء على الآداب (كما يقولون !) وتنزيهاً للأبصار أن تقع على هذه العورات ، خوفاً أن تَهيج الشر من مكمنه ، وتنشر الإثم والخِزْى بين الناس

مذهب جميل فى التربية ، يذهب إليه الفرنجة فى تآليفهم الجديدة أدبية ولغوية ، إلا أنى أعتقد أنه مذهب نَظَرِىّ ، لا يعلّم الناس الا شيئاً واحدا ، هو الرياء وتصنعُ الأدب . وما عجبت لشىء عجبى لقوم لا يستحيون أن يدوسوا الفضيلة بأقدامهم ، بما يعملونه من أعمال ، هى غاية فى

القباحة والفحة ، ثم تقوم قيامتهم لِلَفْظةٍ يجدونها فى كتاب ، يظنون ان فى ذكرها هتكا لحُرمة الفضيلة والآداب ، ليوهموا الناس انهم من انصار الحق ، واعوان الشرف ، ومامِ وحقك إلا الأدْعياء ، ينتقمون من الآداب باسم الغيرة على الآداب والإبقاء على الفضائل

ولعمرى لئن كان لهم بعض العذر فى حذف ذلك من كُتُب الأدب التى تقع فى ايدى الشُّبَّان والشُّوَّابّ ، فليت شعرى ماعذرهم فى حذف ذلك من كتب اللغة ؛ وكيف يفخرون بتمزيق اوصالها ، وبتر اجزائها ؛ الم يكن احرى بهم ان يرقُّوا الآدابَ العَمَلِيَّة الاجتماعية ، ويرفعوها من هذه الوَهْدَة التى اختنقت فيها الفضيلة ، ولا عليهم بعد ذلك ان تمتلئ صفحات الكتب بهذه المسميات التى يستحيون من (كتابتها !)

والخلاصة اننا لا يصح ان نذهب مذهب القوم فى وضع معجماتنا ، لأنا لا يروقُنَا هذا الرياء والأدب المتصنع ، لا يصح ان نحذف شيئاً من مادة اللغة . ومهما يكن ذكره قبيحاً فحذفه اقبح وآثم ، لأننا امناء على هذه اللغة لا يصح ان نُميت منها إلا ما اماتَهُ أَهْلُها ، ومع ذلك فقد نذهب هذا المذهب الجديد فى احاديثنا ، وما ننشره من آدابنا ، وفى النسخ التى يتداولها صغار الطلبة والطالبات من كتبنا ، اما فى المعجمات الكبيرة فلا

الدعوة لاصلاح المعجمات

ولما كان إصلاح المعجمات وتهذيبُها من أول الوسائل لأنها من

اللُّغة ، وأقوى الممهّدات للنهضة العلمية الفنية التى تسعى إليها الممالك العربية عامّة ، والمملكة المصرية خاصّة ، سعياً حثيثاً ، وكان كل ما عُمل بها حتى الآن : من اختصار وتهذيب لمطوّلاتها ، ومن بسط وتطويل لمختصراتها ، غير محقق للغاية التى ينشُدُها مُحبُّو العربية المتعلقون بها ، رأيت أن أنشر اقتراحى هذا بين الناطقين بهذه اللغة الشريفة ، رجاء أن تتعاون جميعاً على البر بها ، وإصلاح شئونها ، بوضع معجمات جديدة ، على الطريقة التى سأرسمها ، فإننا معاشر الناطقين بالعربية أحوجُ ما نكون إلى النهوض بلغتنا فى هذا العصر ، الذى نرى فيه رقّ اللغات من أسباب سعادة الأمم ، وقوتها ، وحياتها ، ونرى فيه الأمم والجماعات المختلفة تجعل العناية بمسألة اللغة ونشرها من أهم المسائل التى يترتب عليها فوزها فى مستقبل حياتها . فلا بد لنا من مجاراة تلك الأمم فى إحياء لغاتهم ونشرها ، حتى نصل إلى ما وصلوا إليه بجدهم ، والله يوفقنا إلى خير العمل

تأليف لجنة لوضع المعجم

لذلك أرى أن تؤلف لجنة كبيرة من أفاضل المشتغلين بالعلوم العربية والفنون اللغوية ، ليؤلفوا للناس محيطاً جامعاً لما وسعته المعجمات على اختلاف مناحيها ، من مفردات وتراكيب ، لا يغادر منها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، حتى يكتفى به الباحثون عن صغار المعجمات وكبارها ، وليكونَ هذا المحيط خاتماً لعهد الاضطراب ، والاختلاف ،

وتشتت الافكار ، وتبلبل الألسن ، وكثرة الأقوال ، وضياع الزمن والمال

أما تأليف اللجنة فأمر لا بد منه لأن ذلك العمل الشاق مما لا تستقل همة فرد بأعبائه ، ولأن كل ما ظهر من عمل الأفراد (فى اللغة) حتى اليوم لا يخلو من شوائب نقص ، ولأن عمر الجماعات أطول من عمر الأفراد ، ولأننا نريد أن يتم ذلك العمل فى القريب العاجل ، وهيهات أن تفى قدرة فرد بذلك

وإذ كان الناس يُلحُّون على أولى الأمر فى مصر الآن بتأليف لجنة لوضع مُدَوَّنَة كبيرة للعلوم (دائرة معارف) رأيت (بهذه المناسبة) أن أذكرهم بما قد يعترض العاملين فيها ، فيعطّل سيرهم ، أو يوقفه ، زمناً طويلا (على الأقل) من المشكلات اللغوية . ولذلك أرى أن يكون تأليف اللجنة اللغوية حكومياً (تقوم به وزارة المعارف ، وعلى حسابها) ما دام تأليف اللجنة العلمية سيكون حكومياً . وأقول أيضاً أنه لا بد من توطيد الصلة بين اللجنتين ، حتى يتم التعاون بينهما ، بَيْدَ أنى أفضل أن تسبق اللجنةُ اللغويةُ فى العمل اللجنةَ العلميةَ ، لتمهد لها كثيراً من مسائل اللغة كالاشتقاق والتعريب والتوليد ، وما إلى ذلك من المسائل التى لا بد من تمحيصها قبل أن تقوم اللجنة العلمية بعملها ، وإلا وقفتْه أو أخرجته للناس مشوهاً ناقصاً

ولا بد عند قيام اللجنة اللغوية بعملها أن تكون على اتصال تامّ بالرأى العام ، بنشر مناهجها وما يعترض طريقها من عقبات على

الجمهور ، وفيه (والحمد لله) كثير من ذوى الأفكار الناضجة ، والفِكَر الصائبة ، فلعل ذلك مما يسهل عليها القيام بعملها كاملا

المعجمات التى تضعها اللجنة ونظامها

تبدأ اللجنة عملها بوضع محيط كبير (للمعانى) ، وبعد أن يتم تأليفه يختصر منه نسختان ، تحوى إحداهما ما لا بد منه للمطالعين الذين يؤثرون العَجَلة فى الكشف ، ممن لا يسمح لهم الوقت بقراءة المادة المطوَّلة فى المحيط الكبير وتكون فى حجم أقرب الموارد . أما الثانية فتكون دون هذه ، وتعمل لطلبة المدارس ومن فى درجتهم من المتعلمين . ويجب أن يكون نظام هذا المعجم المحيط فريداً ، وأرى أن يُحْصى الفصيح والصحيح من لغة العرب فى بعض أسفاره ، مع تقصّى جميع ما ورد من ذلك فى كتب اللغة ودواوين الأدب

ثم يضاف إلى ذلك سفر خاص بأعلام الأشخاص والقبائل والبلاد والأماكن

ثم سفر آخر يختص بالمولد والدخيل فى جميع العصور الاسلامية (غير الذى أدخله العرب أنفسهم فى لغتهم ، وجرى منها مجرى الدم فى الجسم ، وصار مجهول النسب)

وهذان السفران يكونان قابلين للنمو على حسب مقتضيات الزمان ، فيمكن لكلّ جيل أن يضيف اليهما ما شاع فى عصره من مُوَلَّد ودَخيل واعلام ونحوها ، أما الأسفار الخاصة بمادة اللغة فلا

يصح زيادة شيء عليها إلا ما عسى أن تثبته معجمات ليست بأيدينا الآن إن صح أنّ في الوجود معجمات أخرى

أما ترتيب مواده فعلى نظام أقرب الموارد والمنجد ، لأنه خير نظام أخرج للناس . وأما ضبطه بالشكل الكامل ، ومراعاة الدقة في تصحيحه ، فيجب أن يكونا بالمحل الأول من اهتمام المنفذين لهذا المشروع الجليل ، حتى يبرأ مما أصاب معجماتنا من غلط وتشويه ومسخ

وبعد فلا أرى هذه المعجمات الثلاثة (المحيطَ ومختصريه) سادّةً لحاجتنا من جميع وجوهها ، بل لا بد من وضع معجمات أخرى (للألفاظ) على طريقة المخصص لابن سيدَه لأن تلك معجمات اهل الفنون والصناعات والمترجين ونحوهم ممن يعرفون المسميات ولا يعرفون اسماءها . ونحن في إبّان هذه النهضة المباركة لا بد ان نُمدَّ يد المَعُونة لأولئك الساعين في إنهاض الممالك العربية نهضة علمية فنية بإيجاد المعجمات التي يسهل عليهم الرجوع إليها

عند ذلك استطيع ان اقول إننا نخدم لغتنا ، ونقوى جامعتنا ، وإننا قد وضعنا حجر الزاوية في بناء النهضة العربية ، وإننا ناهضون ومسرعون الى الحياة المستقلة السعيدة ، التي نحن احقُّ بها واهلُها ؟

مصطفى السقا
مدرس بمدرسة الامير فاروق الثانوية